**بسم الله الرحمن الرحيم**

# ثلاثون عاما في القارة السمراء

**أن نوجد على هذه الخليقة، ونُؤتى الأمانة من الخالق، أن نُفضل على الخلائق، وأن نُكمّل بالعقل، حِمل حُمّلناه وعلينا تحمله، خلقنا كأجناس من البشر، مختلفي اللون، اللغة، الدين، الهوية، المنشأ، الثقافة، كلها كانت لجعل العالم البشري عرضة للاكتشاف والتعرف، نعم لست وحدك في هذا العالم، وبما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، كان لزاما عليه أن يكبر فيعلم أن حدود مدينته ليست هي حدود العالم، هناك مساحة واسعة جدا لا تدركها الأبصار، ومع كل هذا الاختلاف هناك حقيقة واحدة على الجميع أن يؤمن بها، ويؤديها، من حاد عنها هلك، ومن اتبعها كانت هي دليله للسعادة الأبدية، ألا وهي حقيقة الإسلام.**

**عبر تلك الحدود الواسعة، هناك عقول حادت فاحتارت، هناك نفوس لم تذق الأنس في حياتها البسيطة، بل ربما قد تكون حياة متواضعة جدا، ليست أنس القصور والرفاهية، أنس إيماني يحلق بالروح إلى موطنها.**

**كل مولود يولد على الفطرة، حقيقة كونية لا تنكر، فداخل كل بشر بذرة طيبة ما لم تسقى لم تنبت، لذا كانت جهود الدكتور عبدالرحمن السميط سقاية تلك البذرة حتى حصد أكثر من 11مليون نبتة طيبة، نافعة له يوم لا ينفع مال ولا بنون، في هذه المقالة سنستعرض جهود الدكتور المباركة، وبعض سيرته العطرة، التي أراد الله بإذنه أن يعلي قدره في الأرض عسى أن يكون قدره في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأعجز حقيقة عن حصر مسيرة ذلك الطبيب الجراح الذي آثر سعة الآخرة على ضيق الدنيا، فكسر حدود الخريطة باتصال يكاد يكون مستحيلا في عدة وريقات وعدة كلمات، فإن بدأتها لا أعلم من أي نقطة أبدأ، وإن أردت إنهاءها لا أعلم بأي النهايات تفي تلك النهاية العظيمة التي تخطت حاجز العشرة ملايين مسلم، لكن هي إشارات و إضاءات حول تلك التجربة الفريدة من نوعها وتوجهها، لتحكي لنا حكاية الهمة، مغزاها من علت همته جدّ عمله.**

**حياة الدكتور عبدالرحمن السميط الشخصية كما ذكرها الأستاذ محمد لافي في تقريره الإخباري المنشور على موقع المسلم بعد رحيل الدكتور الداعية، بأنه تعلم في بلده الكويت إلى المرحلة الثانوية، وأكمل تعليمه في الخارج حيث حصل على شهادة الطب في الجراحة من جامعة بغداد، كما حصل على دبلوم أمراض المناطق الحارة من جامعة ليفربول في المملكة المتحدة، وبعدها سافر إلى كندا ليتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية.(لافي، 1434)**

**وقد عمل السميط في مهنته الطب في كل من كندا وبريطانيا بين أعوام 1974 وحتى أعوام 1980وذلك قبل أن يعود**

**إلى بلده الكويت إخصائيا في أمراض الجهاز الهضمي في مستشفى الصباح في الفترة من 1980 – 1983، ونشر العديد من الأبحاث العلمية والطبية في مجال القولون والفحص بالمنظار لأورام السرطان**

**بالرغم من تلك الشهادات الأكاديمية، والتعمق في تخصصه الطبي الذي يوفر له مرتبا مميزا، ومكانة اجتماعية عالية، إلا أن الدكتور لم يرد المكانة العالية عند البشر بل أرادها عن رب البشر، فبعد كل تلك السنين والخبرات أراد أن يكون من خير الناس الذين هم أنفعهم للناس، اختار الدكتور القارة السمراء التي باتت تفقد هويتها، التي عاشت معاناة تلك الدهاليز المظلمة وجهود المنصرين فيها.**

**ذلك الرقم الكبير من المسلمين الجدد، وتلك الهمة العظيمة لم تكن وليدة اللحظة، بل حتى أفريقيا لم تكن هي وجهته الأولى في الدعوة، شبّ الدكتور على هم الدعوة، فحتى في سنوات دراسته كان لا يفتأ عن تبليغ رسالة الإسلام، بحكم دراسته لما بعد الثانوية في جامعات أجنبية.**

**من أهم أساليب الدكتور في الدعوة هي المجاهدة و اليقين بما أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، فلم تثنه الصعوبات التي واجهها عن همه الذي أشغل باله، وملأ حياته، فقد كان يجد السعي نحو الدعوة والتبليغ، اتخذ من الأسلوب الحسن والكلمة طيبا جسرا يعبر به قلوبا شاخت من كدر العيش، من نفوس ضاق بهم الأمل وحادت صفوفهم حتى أصبحوا عجينة لينة إن لم يُرشدوا لطريق الحق سبقتنا إليهم الأفكار المحرفة،يقول الدكتور السميط: "من خلال تجربتِي الدعويَّة؛ فإن الدعوة للإسلام تكون عن طريق المُعاملة بالحسنى" كان من بساطة نفسه لا يجلب لنفسه مالا يجد لديهم، فمع قدرته على ألذ المشارب وأطيب الأماكن راحة، إلا أنه انخرط في مجتمع مغاير تماما حتى لم يشعروا باختلافه عنهم، كان يأكل من أكلهم حتى وإن كان بيضة نية، ويشرب من شربهم حتى وإن كانت مياه عكرة، ويركب مركبهم حتى وإن كان على طريق وعر يقطع بعشرات الساعات، كل تلك الأشياء جعلها سبيله نحو بناء هوية جديدة، ليست هوية الدكتور الخليجي المحمل بالشهادات الأكاديمية، بل الداعية الذي لا يرى سوى أناس هُمشوا، أبعدتهم المسافات عن إخوة لهم يربطهم بهم رابطة الإسلام لكن يعيشون رغدا, وينعمون أمناً، حتى تساوى البعد الجغرافي بالبعد المعنوي، فكانت كل تلك المواقف كتحدي قام به الدكتور لتحقيق ما أراد يقول الأستاذ عقيل الشمري في مقالته الالكترونية بعنوان (دروس تربوية من حياة الدكتور السميط) المنشورة على موقع صيد الفوائد نقلا عن الدكتور السميط: "ليس مِن عادتي أنْ أَرجع دون قرية كنت أنوي الذَّهاب لها" (الشمري ) .**

**ذكر الأستاذ محمد لافي في تقريره (الشيخ عبدالرحمن السميط خادم الفقراء ) الذي تم نشره على موقع المسلم عام 1434، أهم سمات الدكتور السميط في دعوته سأسردها على شكل نقاط :**

- **البساطة في أسلوب حياته هناك في أفريقيا . (لافي، 1434).**

- **اتخذ من الصمت سبيلا وجعل حديثه العمل. (لافي، 1434).**
- **ابتعد عن المثاليات والتوغل في التنظير والتخطيط، ليقينه أن السبيل إلى قلوب الناس وكسب ثقتهم تكون بقدر ما تعمل لا بما تقول. (لافي، 1434).**
- **أبرز خطوات عمله جمعه بين العمل الميداني وبين إدارة العمل ذاته، ليست إدارة خلف المكاتب وإلقاء الأوامر لكن إدارة عليا منظمة، ويعتبر الدكتور السميط من القلائل الذين وفقوا للجمع بين الإدارة والعمل الميداني، بل وصلت لدرجة النجاح وتحقيق الهدف. (لافي، 1434).**
- **ثقته بأن على كل مسلم أن يحمل رسالة، وكان رحمه الله يحث دائما على ذلك، فالمسلم لم يوجد عبثا في هذه الدنيا، لذا عليك أن تقدم رسالتك وتعمل لأجلها وتتحمل صعابها لتجني ثمارها وتكسب ثوابها، فقد كان يقول الدكتور السميط رحمه الله: " والله إن كل واحد منا قادر على أن يغير الدنيا كما غيرها سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والفرق بيننا وبينه عليه الصلاة والسلام أنه مبعوث بالوحي من السماء، وفيما عدا ذلك، فالقضية قضية إيمان، فكلما قوي إيمانك كنت أقدر على العطاء والتغيير" . (لافي، 1434).**
- **استنهاض الهمم وشحذ العزائم كانت سمة تتمتع بها دعوة الدكتور السميط رحمه الله، فقد كان يجمع المال الذي ينفقه في الدعوة بسعيه إلى أهل الخير والمحسنين من التجار، وذلك لإنفاقه على الدعوة الأفريقية، من إطعام الطعام، والمساهمة في علاج المرضى، وتوفير سبل الحياة من حفر الآبار، وتعزيز الهوية الإسلامية ببناء المساجد، حتى أنه قد ذكر عنه أنه تحدث عن حال مجاعة في أثيوبيا في مسجد بالكويت بعد صلاة الجمعة، وطلب لها مليون دينارا، ولحرصه على إتمام ذلك الطلب، فقد حلف على أن لا يخرج إلى وقد جمع المبلغ كاملا حتى ولو مضى شهر على ذلك، فما صلى مغرب ذلك اليوم وإلا وقد تم جمع المبلغ كاملا، ولم تقف استنهاض همم المسلمين على المساجد بل لم يدع محفلا أو ديوانية في الكويت إلا وكان يتردد عليها متحدثا بالجهود التي أتمها والتي يريد إتمامها، فقد كان يستحثهم على المشاركة معه، إما بسفرهم وجهدهم لتلك الديار، وإما بالتبرع لهم لتحقيق جمع من المشاريع، وكان بفضل الله وتوفيقه له يلقى تجاوبا كبيرا من الآخرين. (لافي، 1434).**
- **أمانة الدكتور في كل تلك التبرعات، فلم تكن تذهب سدى أو بلا تخطيط، كان رحمه الله يحرص حرصا شديدا على تلك الأموال من المتبرعين، حتى أنه إذا انتهى الشهر واستلم راتب الشهر الجديد أعاد ما تبقى من راتب الشهر القديم للجنة. (لافي، 1434).**

**وكل تلك السنين بالطبع كانت محفوفة بالمخاطر والصعاب، من أبرزها ما ذكره الأستاذ محمد لافي بعض منها في مقالته (الشيخ عبدالرحمن السميط خادم الفقراء) المنشور في موقع المسلم عام 1434هـ ، وسأوضحها على شكل نقاط :**

- لم تقتصر صعوبة العيش على قلة الموارد أو أساسيات الحياة البشرية، بل لأجل فقدان تلك الديار هذه المقومات عاش الدكتور بعض المواقف الصعبة كمحاصرة أفعى الكوبرا له في موزمبيق وكينيا وملاوي، ولسع البعوض، لكن بفضل الله نجى، غير شح المياه وانقطاع الكهرباء. (لافي، 1434)
- محاولات الاغتيال التي تعرض لها الدكتور من قبل المليشيات المسيحية، والتي كان أهم دوافعهم خلف تلك المحاولات هو حضور الدكتور الطاغي بين أوساط الفقراء والمحتاجين. (لافي، 1434)
- وغير محاولات الاغتيال ذاق الدكتور السميط مرارة السجن عدة مرات، وأمرّ تلك المرارات حين أُسر على يد البعثيين حيث سجن مرتين، أولى تلك المرتين في بغداد عام 1970 وكاد يعدم في وقتها، وثانيها عام 1990 حيث اعتقلته المخابرات العراقية فترة غزو العراق للكويت. (لافي، 1434).
- ما ذكره الأستاذ خلف الحربي في مقالته ( نموذج عبدالرحمن السميط ! ) الذي تم نشره في جريدة عكاظ عام 1434، أن من أهم الصعوبات أو كما وصفه بـ " التحدي الأصعب هو العاصفة الدولية التي ضربت العمل الخيري الإسلامي بعد أحداث 11 سبتمبر". (الحربي، 1434)
- مرضه الذي يحتاج لعناية غذائية وصحية ، مع عدم توفرهما في تلك المناطق ، كما ذكر الأستاذ عقيل الشمري في مقالته (دروس تربوية من حياة الدكتور عبدالرحمن السميط) نقلا عن الدكتور السميط : " قول السميط عن البلدة التي سكنها" :أنا أعيش في قرية ينقطع فيها الكهرباء والماء يوميا، وهذا بالنسبة لي شخصيا شيء كثير؛ لأني مصاب بالسكَّري، وأستخدم إبر الأنسولين خمس مرات في اليوم، وعندي أدوية لا بد أن أضعها في الثلاَّجة، أنا أعيش في قرية حتى كيس النايلون لشراء أي حاجة بالسوق لا أتحصل عليه بيسر، أنا أعيش في قرية لا يوجد فيها أشياء كثيرة مما تعارفنا عليه أنا وأنت على أنه من أساسيات الحياة." (الشمري)
- صعوبة العيش في أماكن تقل فيها مقومات الحياة، فكانت التنقلات جدا صعبة، والغذاء لا يكفي حاجة الفرد فضلا على أن يكفي حاجة الجماعة .

تلك السنين وتلك المشقة، وذلك الجهد المبارك آل بحمد الله وفضله إلى نتائج مباركة يفخر بها العالم الإسلامي أجمع، فقد كانت هناك بعض النتائج التي كانت الهدف الأساسي من دعوة الدكتور السميط ومنها ما هو فائدة مبطنة للفرد المسلم أولا، ثم لكل من سخر نفسه لخدمة هذا الدين السماوي الجليل، من تلك النتائج والإشارات :

- من أهمها وأبرزها هو ما يعبر عنه بملخص حياته الدعوية والتي تناقلها الإعلام بأنواعه، منها مدونة الزيادي للمدون الكويتي حيث ذكر أعماله البارزة التي حققها قبل وفاته رحمه الله حيث قال : " أسلم على يدي الدكتور أكثر من 11 مليون شخص في إفريقيا، وبنى 5700 مسجد، وحفر 9500بئر، وأنشئ 860مدرسة ، و4 جامعات، و 204مركز إسلامي، بعد أن قضى أكثر من 29 سنة ينشر الإسلام في قارة أفريقيا في معدل ما يقرب

حوالي 972 مسلماً يومياً، وقبل أن يصبح ناشطاً في العمل الخيري، كان طبيبا متخصصاً في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي" (الزيادي 1434) .

- متى ما خضع الداعية وركن إلى الماديات كان سببا في عرقلة أهدافه الدعوية، والماديات عموما ليست بالمال وحسب بل لكل وسيلة محسوسة يُرى بأنها السبيل السليم إلى الدعوة بغض النظر عن طاقات الفرد وهمته وتقبله للتحديات التي سيواجهها، وهنا تساؤل طرحه الأستاذ عقيل هل المال المحرك الأساسي للدعوة، أم الدعوة هي التي توظف المال ؟ وذكر الأستاذ عقيل الشمري نقلا عن الدكتور السميط أو كما وصفه بمجدد أفريقيا قوله : " "لَم يكن المال عائقًا بالمقام الأوَّل، وإنَّما الرِّجال هم العائق، وتوفُّر الطاقات هو العائق الحقيقي" (الشمري) .

وبعد كل تلك السنين توفي الدكتور رحمه الله أثر تأثره بالمرض عن عمر تعدى 60 قضى نصفها بين أدغال أفريقيا، وما تزال هناك تأملات وإضاءات بالغة الأهمية والأثر بين ثنايا تلك التجربة الفريدة يبصرها أولو الألباب لكن في الحقيقة أعجز عن حصرها، فتجربة الدكتور السميط في أفريقيا (القارة السمراء) تعد أنموذجا للداعية ليرقى بدعوته وينال مبتغاه، وقبل كل ذلك يحقق هدفه المنشود ويبلغ رسالة الإسلام.

ختاما .. هل سنرى (سميط) آخر ؟

لعل في الأمة خير كثير، والخير باقي في هذه الأمة حتى قيام الساعة، والدكتور السميط غفر الله له لم يكن أثره في حدود شخصه وأفريقيا فحسب، بل امتد الأثر إلى عائلة الدكتور، فأحَبّ أبناءه العمل التطوعي، وملئوا شغفا بتلك السعادة المبنية على سعادة تلك النفوس الطيبة (المنسية) ربما،بل حتى لم يقف الأثر أيضا على تلك الحدود بل كل من لازم الدكتور الشيخ السميط في بعض رحلاته، بل حتى من أقام معه لقاء إعلامي، أو بحث في حياته لجعلها مادة إعلامية فقد تتلمذ من تلك المدرسة الدعوية الراقية، وقد وثق الدكتور فهد السنيدي برنامج وثائقي كامل بعدة حلقات مع الدكتور عبدالرحمن السميط باسم (القارة المنسية)، وقد بُث على قناة المجد العامة عام 1430 أو قبل ذلك، وكتب الدكتور فهد السنيدي في لقاء إلكتروني له رسالة (عندما زرتك يا دكتور) تلخص ذلك الأثر الذي لمسه الدكتور فهد السنيدي من ملازمة الدكتور عبدالرحمن السميط، فقد رحل عِظام قبل الدكتور ومازالت الأمة تخرّج عظاما.

## قائمة المراجع


1–الحربي، خالد، 1434، نموذج عبدالرحمن السميط، مقالة صحفية، متوفرة على : <http://www.okaz.com.sa> تم الدخول للمقالة بتاريخ: 1436/6/29.

2– الزيادي، 1434، من هو عبدالرحمن السميط | تقرير شامل يوثق حياته ومسيرته في العمل الخيري، مقالة صحفية، متوفرة على: < http://alziadiq8.com/ > تم الدخول للمقالة بتاريخ: 1436/6/29.

3– الشمري، عقيل، دروس تربوية من حياة الدكتور عبدالرحمن السميط، مقالة صحفية، متوفرة على: < http://www.saaid.net/ > تم الدخول للمقالة بتاريخ: 1436/6/29.

4– لافي، محمد، 1434، الشيخ عبدالرحمن السميط خادم الفقراء، مقالة إلكترونية، متوفرة على: < http://www.almoslim.net/ > تم الدخول للمقالة بتاريخ: 1436/6/29.